

## المبحث الاول

### أسباب ودوافع معركة حطين

#### تعريف معركة حطين

معركة حطين تعتبر إحدى المعارك الفاصلة بين الصليبيين والمسلمين عبر التاريخ الإسلامي، والتي وقعت في عهد الدولة الأيوبية في عام ٥٨٣ هجرياً الموافق عام ١١٨٧ ميلادياً، وسُميت بهذا الاسم نسبة إلى المكان الذي اندلعت به بقرية حطين، والتي تقع على جبل حطين بدولة فلسطين، وهي تبعد عن مدينة طبريا ما يقارب تسعة كيلومترات، وكانت هذه القرية تشكل طريق رئيسية وحيوية من خلال مرور القوافل التجارية والجيوش المتجهة إلى بلاد الشام والعراق ومصر منها، مما جعلها تتمتع بمكانة وأهمية استراتيجية واقتصادية ( ). كبيرة لتصبح مطعم الأعداء والمجاورين

تعد معركة حطين نقطة تحول حاسمة في الموقف السياسي – العسكري في المشرق، فقد دمرت المؤسسة العسكرية الصليبية التي ظلت ترهب المشرق نحو قرن من الزمن، وتحول المسلمون من وضع الدفاع الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي وانتعشت الآمال بقرب نهاية الوجود الفرنجي في البلاد. وتبين للجميع أهمية الوحدة السياسية وتلاحم القوى وبناء القدرة الذاتية والتخطيط الشامل ووضوح الهدف في تحقيق النصر. ومن الناحية العسكرية فقد كانت معركة حطين والترتيبات التي سبقتها والعمليات التي تلتها نموذجاً رائعاً للحرب الحركية والمناورة الجيدة تمثلت فيها مختلف أنواع الأعمال الحربية من الاستطلاع الجيد والاختيار الصحيح لأرض المعركة إلى القتال في المسير والقتال التصادمي والهجوم والدفاع والتطويق وغير ذلك، غير أن أبرز ما فيها نجاح المسلمين في تشتيت جهود العدو وإنهاكه وإرهاقه بالرميات من الحركة وإضعاف معنوياته والإفادة من نقاط ضعفه قبل الانقضاض النهائي عليه، ومن ثم استثمار النصر من دون تلكو ليكون النجاح تاماً غير منقوص. ولا شك بأن الكفاية القتالية العالية والتصميم على انتزاع النصر إلى جانب الاستعداد الدائم ( ) للتضحية من أهم عناصر النجاح في جميع الأحوال وفي كل مكان وزمان

#### دوافع وأسباب معركة حطين

كما عمد صلاح الدين الذي عرف بمهارته العسكرية أيضا إلى استغلال تلك الظروف العصيبة التي كانت تمر بها مملكة بيت المقدس عقب تنويع جاي لوزجان الذي تنازلت له زوجه عن الحكم وأصبح ملكا لبيت المقدس، بعد أن خلعت التاج عن رأسها ووضعت على رأسه قائلة : زوجي أقدر وهو أحق بالملك وأجدر ( )، وفشل القوم ريموند المنجلي أمير طرابلس في الفوز بذلك المنصب، ورفض فرسان الداوية استقلال بالحكم وطالبوه بالعمل بالرمية التي كانت تقضي له بحق الوصاية فقط، الأمر الذي جعله يلقي بنفسه بين أحضان صلاح الدين طالبا منه مساعدته ضد ملك بيت المقدس والداوية، وأجاب صلاح الدين نداءه وأمدّه بالمعونة اللازمة، وبذلك استطاع أن ( ) يضم إليه حليفة جديدة من الصليبيين، مكونا بذلك ثغرة كبيرة في صفوف الصليبيين

أثار تحالف صلاح الدين مع ريموند الثالث، غضب رينولد شانتيون الذي كان في هدنة مع صلاح الدين واشتهر بالتفكير المنفرد، ويفضل ما تنطوي عليه الهدنة من بذل الحماية، صارت القوافل التجارية تتردد بين مصر وبلاد الشام، مجتازة الأراضي الصليبية بأمان ( )، ولا، ولا شك بأن ذلك عاد بالفائدة على رينولد شانتيون نفسه، نظرا لما يفرضه من ضرائب ومكوس عليها كما يبدو أنه لا يستطيع الحياة دون أن ينهب ويسرق، فقام بنقض هدنته مع صلاح الدين عام (٥٨٢هـ أواخر عام ١١٨٦م) حين أوقف قافلة تجارية كبيرة مائة بارض الكرك، في طريقها من مصر إلى بلاد الشام، واستولى عليها، فقتل حراسها، وأسر بعض الجنود، كما قبض على من في القافلة من تجار وعائيات ( ) وحملهم إلى حصن الكرك

لم تلبث أنباء الاعتداء أن وصلت إلى مسامع صلاح الدين، ولحرصه على احترام المعاهدة، أرسل إلى رينولد شانتيون ينكر عليه هذا العمل، ويتهدده إن لم يطلق سراح الأسرى ويعيد الأموال، غير أن صاحب الكرك رفض استقبال رسله، وعندما وجد صلاح الدين أعرافاً من جانب رينولد، أرسل إلى الملك جاي لوزينان شابا ومطالباً بالنصح لرينولد بإعادة الأسرى والأموال، لبي جاي دعوة صلاح الدين لكنه أخفق في الضغط على رينولد ( )، وكان لهذا الأسلوب الذي استخدمه صلاح الدين في موضوع الأسرى الذين وقعوا يد أرنات صاحب حصن الكرك ومطالبته إياه بإطلاق سراحهم ورد أموالهم دون استخدام القوة، كان له الأثر الأكبر في إدخال الخلاف وعدم اللغة بين ملك بيت المقدس وارنات الذي لم يستجب لرجائه باحترام الهدنة المعقودة مع صلاح الدين ( )، وأصبح الملك الصليبي بنشكك في ( ) نراها أرنات وطمعه في الأفراد بحكم تلك المنطقة، بأن كلا منهما بات حذرا من الآخر

كانت هذه التحالفات ونقضها نقطة الانطلاق الأولى لمعركة حطين ( )، ذلك أن تحالف صلاح الدين مع ريموند الثالث، أتاح له مجالاً للتدخل في السياسة الداخلية للصليبيين، وإن تجديد تحالفه مع كل من ريموند الثالث وبوهيمند الثالث حريماً مملكة بيت المقدس من مساعدة أقوى إمارتين ملبيتين في الشام، وهما إمارة طرابلس، وإمارة أنطاكية، وهكذا نجح صلاح الدين في شق الصف الصليبي، وفي المقابل فإنه نجح في توحيد الصف الإسلامي، فأعد الجيوش الإسلامية في مصر والجزيرة والموصل والشام معنوية وعسكرية للمعركة التي أرادها فاصلة، وعندما اكتملت استعدادات التجهيز، خرج صلاح الدين من دمشق في شهر محرم ٥٨٣ هـ شهر آذار ١١٨٧ م على رأس جيش كبير منجها نحو الجنوب فوصل إلى رأس الماء إلى الشمال الغربي من حوران، ثم اتجه إلى بصري ليستقبل قافلة الحج التي كان من عدادها أخته وابنها ويضمن في الوقت نفسه عدم تعرض رينولد لهم لأن التقارير التي وصلت أية اشارات الي تربص حاكم الكرك بالحجاج ( )، وبعد أن اطمان الي وصول القافلة وسلامتها شرع في مهاجمة الكرك وإذا علم رينولد بوجوده في المنطقة تراجع إلى حصنه، وكان صلاح الدين قد ترك ابنه الأفضل نور الدين علي في رأس الماء ينتظر وصول العساكر التي استدعاها للجهاد ( )، وكانت حركة صلاح الدين باتجاه الكرك تحقق هدفين

الأول : التمويه على هدفه الحقيقي، وهو مهاجمة مملكة بيت المقدس

الثاني: إخافة رينولد شاتيون ( أرناط ) ومنعه من الذهاب إلى مملكة بيت المقدس فنشر صلاح الدين عساكره في المنطقة فراحوا يعيرون فيها، ثم قصد الشوبك، وفعل فيها مثلما فعل بالكرك وظل في الأردن شهر صفر ربيع الأول ٥٨٣ شهر نيسان وبار ١١٨٧ م تغطية للحشود التي كانت تتجمع حول ابنه الأفضل في رأس الماء

وتوج جاي لوزينيان ملكا على بيت المقدس بعد وفاة بلدوين الخامس في آب (أغسطس) ١١٨٦ م فقرب ريموند أمير طرابلس من صلاح الدين لضياح مطامعه وخيبة آماله حتى بث السرايا في إمارات الصليبيين من قومه وأهل ملته وهذا الانشقاق خير عظيم لصالح الجبة الإسلامية الموحدة

ولم يتعظ أرناط صاحب الكرك بأحدث حياته فهو لا يستطيع الحياة دون نهب وسلب فانقض على قافلة كبيرة تحمل ثروة طائلة متجهة من القاهرة إلى دمشق أواخر سنة ١١٨٦ م أوائل سنة ١١٨٧ م وعلى الرغم من الاحتياطات اللازمة بوجود حماية من الجند كمين أرناط للقافلة وحاميتها وسلب كل ما فيها أسر رجالها فأرسل إليه صلاح الدين يتهدده إن لم يطلق الأسرى والأموال وامتنع أرناط وبلغت به الوقاحة إلى أن يقول لرسل صلاح الدين: قولوا للمجد يخلصكم ولما علم صلاح الدين بقوله أقسم على أن ينتقم من أرناط بل إنه نذر دمه وأعطى الله عهداً إن ظفر به أن يقتله بيده، حتى جاي لوزينيان أدرك خطورة ما قام به أرناط فطلب منه إطلاق الأسرى وإعادة المنهوبات فأعرض وأصر على عدم تنفيذ الأوامر التي أصدرها ملك بيت المقدس فلم يبق أمام صلاح الدين إلا القصاص حرب قاضية على آمال الصليبيين في بلاد الشام علماً أن مملكة بيت المقدس حرمت من معونة إمارة طرابلس وأنطاكية بسبب تنويج جاي لوزينيان ( ) وحيدا بين عصيان أرناط وتمرد ريموند الثالث

وقام صلاح الدين بتعبئة شاملة لقوى دولته لخوض معركة جهاد حاسمة لن تنتهي إلا بتحرير بلاد الشام من بقايا الصليبيين فجاء الجند من حلب والجزيرة وديار بكر ومصر وغادر دمشق في منتصف آذار (مارس) ١١٨٧ م حيث تجمع الجند عند رأس الماء قرب الشيخ ( ) مسكين في حوران وبعد حماية قافلة الحج خوفاً من غدر أرناط شرع في مهاجمة أرناط في الكرك

في ايار مايو ١١٨٧ م أيدت الى الشمال الشرقي من الناصرة فصيلة كبيرة مؤلفة أساساً من الفرسان الصليبيين، ولقي الأستاذ الأكبر لجمعية الأوسبิทัลيين روجيه دي مولان مصرعه

عبرت جيوش المسلمين نهر الأردن جنوبي طبريا، وسارت في اليوم التالي إلى تل كفر سبت (كفر سبيت) في الجانب الجنوبي الغربي من طبريا، وحاولت الاشتباك مع الصليبيين، فرفضوا القتال، وفي ٢ يوليو استولت جيوش صلاح الدين المسلمة على طبرية قاطعا على ( ) عدوه طريقه إلى الماء

يُعتبر الدافع الأول والرئيسي وراء وقوع معركة حطين هو قيام الإفرنجي والصليبي (رينو دي شاتيون) والقادم من فرنسا بغزوات قذرة هدفها الاستيلاء والسرقة والنهب، حيث كان شاتيون وقحاً

إذ أنه قام بالعديد من الأعمال القذرة ومنها نهب جزيرة قبرص عام ١١٥٥ م وكانت تلك الجزيرة تحت الحكم البيزنطي في ذلك الوقت، وقد قام نور الدين بإطلاق سراحه حتى يقوم باتخاذ حصن الكرك مقرّاً له بالأردن

ولكنه لم يتوقف عن الأعمال السيئة من النهب والسلب والسرقة التي يقوم بها، وكان ذلك السبب الذي جعل المسلمين يصرون على قتله، والقضاء عليه وعلى مملكته الطاغية الظالمة

وكان أيضاً من الأسباب والدوافع التي دفعت صلاح الدين للإصرار على فتح بيت المقدس هو العمل على وقف الزحف الصليبي والعدوان الذي يقومون به في بلاد المسلمين

وكذلك ليقوم بتحرير مدينة القدس التي استولى عليها الصليبيون عام ١٠٩٩م، والقيام بحمايتها والحفاظ على قدسيته عند المسلمين (. ) وحرمتها لديهم وليس المسلمين فحسب ولكن عند النصارى واليهود

وأيضاً من الدوافع هو أن بعض الإقطاعيين الصليبيين جعلوا من أنفسهم ملوكاً وأمراء على المناطق التي دخلوا فيها وقاموا باحتلالها

وهذا كان الدافع الذي حرك المسلمين لتحرير تلك البلاد من أيديهم حتى لا يقوموا بالسيطرة عليهم، وبعد أن جمع صلاح الدين الجموع ونظم الجيوش عقد مجلس الشورى للتشاور في كيفية منازلة العدو وتوقيت المعركة فاتفقوا على الخروج في ١٩ ربيع الآخر سنة ٥٥٣هـ (. ) بعد صلاة الجمعة بين تكبير المسلمين وابتهالاتهم وتذرعهم بالدعاء

## المبحث الثاني

### أحداث معركة حطين

وكان سبب هذه المعركة ان صلاح الدين قد كان قوياً، وقصد ممالك الصليبيين؛ ليحررها من ظلمهم فكان قصده مدينه طبريا، وعلم الإفرنج بذلك فجمعوا كل ما أمكنهم جمعه لخوض المعركة الفاصلة فبلغت جموعهم ما بين (٥٠) ألفاً إلى (٦٣) ألفاً، ونزل الإفرنج في فصورية، أما صلاح الدين فنزل في طبريا فحاصرها بجزء من جيشه، وتقدم بالجزء الآخر باتجاه الإفرنج لكن الإفرنج لم يبرحوا مكانهم رهبة وخوفاً، أما مدينه طبريا فسقطت بيدي المسلمين وبقية قلعتها تقاوم فلما علم الإفرنج دب الخلاف بينهم؛ فمن قال بمهاجمة المسلمين لاستنقاذ طبريا؛ وملكهم يطالب بالتريث في الموقع، ثم اتفقوا على التحرك لمواجهة المسلمين، وتلاقى الفريقان في حطين، ورمى الرماة دفعات من السهام على الصليبيين فقتلوا عدداً من خيولهم ورجالهم، والصليبيون مندفعون في قتالهم ليصلوا إلى الماء في طبريا فصددهم صلاح الدين ووقف بالعسكر في وجوههم وحرض المسلمين على الثبات؛ فتقدم غلام فحمل على الإفرنج وقاتل قتالاً عجب منه الجميع ثم تكاثر عليه الإفرنج وقتلوه، وحمل الإفرنج إلى المسلمين، فلما رأى القائد تقي الدين عمر حملة الإفرنج وأنها حملة مكروب؛ أمر بفتح الطريق ثم أشعل المسلمون النار في الزرع اليابس فاحترق، وكانت الريح على الإفرنج فزادهم عطشاً على عطشهم؛ وفي أثناء ذلك أحاط المسلمون بهم وأخذتهم السيوف، ثم التجأ عدداً منهم إلى حطين، ونصبوا للملك خيمة وتبعهم المسلمون ولم تتوقف الحملات إلى أن رموا سلاحهم واستسلموا فكبر صلاح الدين وفر ساجداً لله. وكان من جملة الأسرى ملك بيت المقدس

استفاد صلاح الدين من الظروف التي تمر بها مملكة بيت المقدس في الوقت الذي كان صلاح الدين يعمل في جاهدة لتكوين قوة عسكرية مزودة بالمؤن والعتاد، واستعدادا لخوض معركة فاصلة ضد الصليبيين، كاف بتجنب الاشتباك مع الصليبيين في أكثر من جبهة واحدة. ولا يمكن عده من تعبئة قواه وتوحيد صفوفه ردا على تعبئة القوات الإسلامية، فإرساله في سنة ( ٣٨٥هـ / ٨٨٨١ م ) إلى أهل حلب يأمرهم بمصالحة بوهيمند الثالث أمير أنطاكية ليتفرغ الجهاد الصليبيين من جانب واحدة ( )، قاد الجيش الإسلامي في معركة حطين القائد صلاح الدين الأيوبي بعد قيامه بالقضاء على الدولة الفاطمية الشيعية وتأسيس الخلافة الإسلامية الراشدة في مصر، وقد اشتهر صلاح الدين بالتخطيط الجيد للقتال بشراسة وشجاعته البطولية وقوة حبه للدفاع عن الإسلام. قام بقيادة الجيش الصليبي ثلاثة من الأمراء هم أمير طرابلس (ريمون الثالث) وأمير إنطاكية (غي دي لوزينيان) وأمير حصن الكرك (رينو دي شاتيون). شهدت كتب التاريخ التي تحدثت عن هذه المعركة على شجاعة واستبسال المسلمين ضد الصليبيين، الذين وجدوا أنفسهم في مأزق ووضع سيء، وذلك لقيام قائد جيش المسلمين صلاح الدين الأيوبي بتطويقهم وحصارهم الشديد داخل بلاد الشام التي كانوا يسيطرون عليها، حيث ألحق بهم هزيمة كارثية أدت إلى سحق جيوشهم. حقق صلاح الدين والمسلمين الفوز والنصر الكاسح على جيش الصليبيين، ليمهد هذا الفوز نهاية حكم الصليبيين، الذين عاثوا فساداً بالأرض ويخلص الحرث والنسل من الجور والأذى الذي طال بهم، ويحرر العديد من البلاد الإسلامية التي كانت محتلة (. ) من قلوبهم، وأعاد بنصره عزة وكبرياء الإسلام والمسلمين

وبدأ صلاح الدين بجمع قوات تضم ١٢ ألف فارس، و١٣ ألفاً من المشاة وقوة كبيرة من المتطوعين ورجال الاحتياط، وفي الجانب الآخر حشد الصليبيون ٢٢ ألفاً بين فارس ورجال، والتحق بهم عدد كبير من المتطوعة حتى روي أنه زاد عددهم على الستين ألف.

يقول ابن شداد: أن الفرنج تحركوا لمقابلة العسكر الإسلامي فالتقوا بهم عند سفح جبل طبرية الغربي، وقاتلوه حتى جن الليل فظل الفريقان شاكين السلاح حتى الصباح فالتحما، وذلك بأرض لويبة وضيق المسلمون عليهم الخناق، وحلت بالفرنج خسائر عظيمة... وكانت خطة المسلمين هي قطع سبل الاتصال بين الصليبيين في شرق ميدان المعركة وبين الساحل حيث يمكنهم الحصول على مدد من المدن الصليبية (.)

وسمح المسلمون للصليبيين بالتقدم إلى نحو حطين، بينما سيطر المسلمون على سفح الجبل ومنعوه من التقدم إلى طبرية حيث يمكنهم الحصول على الماء... وغربي بحر الجليل، وبالقرب من قرون حطين دارت المعركة وأحكم المسلمون تضيق الحصار من كل جانب على الصليبيين، واشتد العطش بالصليبيين، واشتد ضغط المسلمين عليهم، وفر بعضهم إلى جبل حطين حيث لاحقهم المسلمون. وأزداد حرج الموقف بالنسبة للصليبيين حين أحرق المسلمون الأعشاب والشجيرات، واستولوا على عيون الماء، "مما زاد في عطش الجنود الصليبيين يضاف إلى ذلك حرارة الجو فقد كان الجو شديد الحرارة، وحين فكر الصليبيون في العودة إلى الساحل كان ذلك من العسير جدا لبعد المسافة بينهم وبين مدن الساحل ولانتشار كمانت المسلمين، وقطع خط الرجعة عليهم (.) . ولما وصل الصليبيون إلى السهل الواقع بين لوبيا وحطين شن صلاح الدين هجوماً ففروا إلى تلال حطين، وبوصول الصليبيين إلى هناك، كانوا قد بلغوا حالة سيئة من الإنهاك، في حين على مقربة منهم تقع قرية حطين ثم بحيرة طبرية بمائها الوفير، ولكن حال بينهم وبين الوصول إلى ذلك الماء صلاح الدين وجيوشه، فحاصرت قوات صلاح الدين التلال، وأقبل الليل وتوقف القتال، في اليوم التالي ٤ يوليو ١١٨٧ وفي قبض شديد ونقص في مياه الشرب قامت معركة حطين، ولف الفرسان الصليبيون الذين انتظموا على مرتفع حطين سحب الدخان المتصاعد إلى أعلى، فالتحم الجيشان على بعد ميلين من حطين، فتضععت صفوف الصليبيين وأهلكت سهام جيش صلاح الدين الصليبيين، ثم شن هجوم بالسيف والرماح، فقتل وجرح وأسر الكثير، فاستسلم الألوفا منهم، وقام الصليبيون بمناورة، فتقدم قائد الفرسان ريموند الثالث أمير طرابلس بأمر من غي دي لوسينيان ملك القدس، وزحزح بهجومه هذا قوة يقودها تقي الدين عمر، فظن الصليبيون أنهم فتحوا ثغرة في صفوف صلاح الدين فاندفعوا فيها، وحصر جيش صلاح الدين جزء من الجيش الصليبي فشطره إلى شطرين

يقول ابن شداد: ثم كان يوم السبت الذي يورك فيه فطلب كل فريق من الفريقين مقامه، فحملت الأطلاب الإسلامية من الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة الرجل الواحد فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين، وكان حقا علينا نصر المؤمنين. وكانت خسائر الصليبيين فادحة، كما كان أسراهم في أعداد كبيرة وتقدرهم المصادر الإسلامية بثلاثين ألف أسير مابين رجل وأمرأة، كما كانت الغنائم كثيرة عظيمة .

1 - بداية الهجوم الإسلامي: وبدأ الهجوم الإسلامي على الصليبيين، فاستمات المسلمون في القتال، وشددوا هجماتهم على الأعداء مدركين: 1 أن من ورائهم الأردن، ومن بين أيديهم بلاد الروم، وأنهم لا ينجيهم إلا الله (.) . وأمام ذلك الهجوم الإسلامي الرهيب أدرك الصليبيون: أن نهايتهم قد حانت، وأنه لا ينجيهم من صلاح الدين سوى الفرار، أو الاستسلام، ولم يستطع النجاة سوى ريموند أمير طرابلس؛ الذي رأى عجز الصليبيين عن مقاومة الجيش الإسلامي، فاتفق مع جماعة من أصحابه، وحملوا على من يليهم من المسلمين، ففتح المسلمون لهم (.) طريقاً يخرجون منه، وبعد خروجهم التأم الصف مرة أخرى

2 - الحرب النفسية عند صلاح الدين: ويبدو: أن صلاح الدين كان في تلك المعركة الحاسمة يعتمد إلى القضاء على الصليبيين، وإدخال الوهن في نفوسهم بكل الوسائل، والدليل على ذلك: أنه بعد أن حصر الصليبيين في أعلى جبل حطين؛ ركز اهتمامه على الاستيلاء على صليبيهم الأعظم الذي يسمونه: صليب الصليبوت، والذي يزعمون: أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم (.) . وبالفعل، فما أن تمكّن من أخذه حتى حلّ بالصليبيين البوار، وأيقنوا بالهلاك

3 - صلاح الدين يصلي صلاة الشكر ويستقبل الملوك الأسرى: أمر صلاح الدين بأن تضرب له خيمة، فتم له ذلك، فنزل فيها، وصلى لله تعالى شكراً على هذه النعمة؛ التي درج الملوك من قبله على تمّي مثلها، وماتوا بحسرتها (.) . ثم أحضر ملوك الصليبيين، ومقّميهم، واستقبلهم استقبالاً حسناً، وأجلس الملك جاي إلى جانبه، وأجلس البرنس أرنات صاحب الكرك إلى جانب الملك، وبادر صلاح الدين بتقديم إناء به ماء متلج للملك جاي، فشرب منه، وأعطى ما تبقى لأرنات، فشرب، وعندئذ غضب صلاح الدين من ذلك، وخاطب الملك مؤكداً له (.) بأن أرنات لم يشرب الماء بإذنه، فينال أمانه

ثم التفت إليه، وذكره بجرائمه، وخيانتته، وقال له: كم تحلف، وتنكث؟! فقال الترجمان عنه: إنه يقول: قد جرت عادة الملوك بذلك. فوقف السلطان صلاح الدين، وقال: هاأنذا استنصر لمحَمَّد. ثم عرض عليه الإسلام فأبى، فاستلَّ صلاح الدين سلاحه، وضربه، فحلَّ كنفه، وتمَّ عليه مَنْ حضر. ولمَّا رأى ملك بيت المقدس جاي لوزجان ذلك المنظر؛ خاف، وظن: أنَّ صلاح الدين سوف يثَّتي به، ولكن السلطان استحضره، وطيب قلبه، وقال له: لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك، أمَّا هذا فإنه تجاوز حدَّه، فجرى ما جرى

لقد تمكن صلاح الدين، بعد أن أعاد توحيد بلاد الشام ومصر تحت حكمه، وبعد أن قضى على الأعداء الداخليين والمنافسين المناوئين، وبعد أن حشد القوى الإسلامية لمواجهة الصليبيين، أن ينزل بالفرنجة ضربات قاصمة كان مفتتحها معركة حطين التاريخية، التي أعادت للمسلمين كرامتهم وأحيت فيهم الأمل، وأعدت للإسلام نصارته ووجهه المشرق، وأدت إلى تحرير القدس واسترجاع قسم كبير من (.). .... الأراضي المحتلة

### المبحث الثالث

#### نتائج معركة حطين

معركة حطين، بأنها معركة فاصلة وحاسمة، لأننا نلاحظ أنها غيرت خريطة التوزيعات السياسية في المنطقة، ففي أعقابها اتجه ذلك السلطان المجاهد إلى فتح مدن الساحل الشامي، وتساقطت الواحدة تلو الأخرى باستثناء صور ذات المنعة والحصانة، وهكذا تم حل مشكلة الساحل الشامي الذي طرد منه المسلمون منذ أعوام طوال ولم يعد المسلمون أصحاب وجود بري حبيس، وهكذا تساقطت مدن عكا، ويافا وصيدا وبيروت، وجبيل وعسقلان وغيرها

والواقع أن من يطالع نصوص المصادر التاريخية لذلك العصر تتملكه الدهشة من موجة سقوط المدن الصليبية بصورة غير مسبوقة عكست التفوق العسكري الساحق للمسلمين ضد أعدائهم ( )، كما تهاوت القلاع الصليبية التي طالما أغارت على مناطق المسلمين، وأحالت حياتهم أحياناً إلى جحيم، ومن أمثلة القلاع التي تهاون أما فعاليات الجيش الأيوبي نذكر طبرية، صدف، هونين، تبنين، بغراس، (.). دريساك، حجر شغلن، القصير، وغيرها كثير ومن بعد ذلك جاء فتح المسلمين لبيت المقدس عاصمة الكيان الصليبي

#### بداية النهاية للوجود الصليبي

كانت معركة حطين أعظم من مجرد كارثة عسكرية، حلت بالصليبيين، لقد كانت في حقيقة أمرها بشيراً بنجاح المسلمين في القضاء على أكبر حركة استعمارية، شهدها العالم في العصور الوسطى، كما شكَّلت حداً تراجع عنده المدُّ الصليبي باتجاه الشرق الأدنى الإسلامي وبداية النهاية للوجود الصليبي ( )، وقد أنهت المعركة زهاء تسعة عقود من الاضمحلال والتدهور والتشرذم في المنطقة الإسلامية في الشرق الأدنى؛ لتؤكد أهمية الوحدة بين أقطار هذه المنطقة الجغرافية في جنوب غرب آسيا وفي مصر في مواجهة كل الأخطار. لقد أسست حطين بداية جديدة لموازن القوى وأكدت أن قوة الفرنج يمكن أن تقهر وقد كشفت الدراسات التاريخية الحديثة التي بحثت تفاصيل تلك المرحلة أن معركة حطين انتهت بانتصار صلاح الدين لكنها لم تقتل نهائياً وجود الفرنج، فهي استراتيجياً معركة فاصلة بين حدين أي أنها ختمت مرحلة التراجع والهزائم وأسست مرحلة الانتصارات والتقدم وشقت الطريق الطويل والصعب الذي شهد الكثير من (.). الصعود والهبوط والهجوم المضاد إلى أن تم خلخلة مواقع الفرنج وتفكيك ممالكهم وطردهم من المنطقة

#### معركة حطين مفتاح بيت المقدس

كانت معركة حطين معركة تحرير فلسطين لأنها هي التي فتحت طريق النصر إلى بيت المقدس، وباقي فلسطين، وقد وصف ابن واصل هذه المعركة بقوله: كانت وقعة حطين مفتاح الفتوح الإسلامية وبها تيسر فتح بيت المقدس، وعدّها حلقة وسط بين فتوحات نور الدين محمود وركن الدين بيبرس البند قاري منذ وفد ملوك الفرنج البلاد الساحلية، واستولوا عليها، لم يقع للمسلمين معهم يوم كيوم حطين، فرحم الله الملك الناصر، وقُدس روحه، فلم يؤيِّد الإسلام بعد الصحابة رضي الله عنهم، برجل مثله ومثل نور الدين محمود بن زنكي، رحمة الله عليهما، فهما جدُّا الإسلام بعد دوسه، وشيِّداً بنيان التوحيد بعد طموسه، ثم أيد الله الإسلام بعدهما بالملك المظفر ركن الدين بيبرس، وكان أمره أعجب، إذ جاء بعد أن استولى التتار على معظم البلاد الإسلامية، وأيس الناس أن لا انتعاش للملة فبدد شمل التتار، (.). وحفظ البلاد الإسلامية، وملك من الفرنج أكثر الحصون الساحلية

## أهمية الوعي الجغرافي:

أبرزت هذه المعركة أهمية الوعي الكامل بضرورة توظيف معطيات الموقع الجغرافي للشرق الإسلامي، واستثمار مميزات، بحيث يكون عاملاً فاعلاً من عوامل القوة الذاتية، ومن دلالات المعركة بروز أهمية مصر كقاعدة بشرية مادية بالغة الأهمية في الربط بين العالم الإسلامي في الشرق الأدنى، كما تجلّت أهمية أرض فلسطين التي تُعد بمثابة الجسر أو المعبر الذي يوصل بين بلاد الشام ومصر.

## هوية صلاح الدين ممزوجة بالإعجاب والإجلال:

غدا لاسم صلاح الدين بعد الانتصار، من الرهبة في قلوب، الصليبيين الممزوجة بالإعجاب والإجلال، نظراً لما اتصفت به فتوحات من الثُّبُل والشهامة والمروءة، كما كان لتسامحه معهم، وحسن معاملته لأسراهم، أثر كبير في استسلام العديد من المدن والحصون دون مقاومة تُذكر. والواقع أنه أظهر رحمة وفروسية كبيرتين في تعامله مع الصليبيين، وبفضل هذه السجايا مارست جيوشه ضبط النفس عند النصر وتجنبت ارتكاب الأعمال الوحشية الشائعة في ذلك الوقت، ففي معرض الحديث عن مروءة صلاح الدين لزوجات وبنات الصليبيين كتب أرنول: لقد أعطهن الكثير لدرجة أنهن حمدن الله، ونشرت في الخارج الكثير عن العطف والإجلال اللذين أسداهما لهن صلاح الدين. كما أكرم إسكيفا، زوجة ريموند الثالث، فسمح لها بأن تخرج من قلعة طبرية بالأمان، فخرجت بمالها ورجالها ونساءها وسارت إلى طرابلس، وكان بالبيان الإبليني من بين الأمراء الناجين، وكانت زوجته وأولاده في بيت المقدس، فسمح له صلاح الدين بالذهاب إلى المدينة لإخراج زوجته وأولاده، واشترط عليه ألا يبيت فيها أكثر من ليلة واحدة. ولقد وقف الغرب الأوروبي وبخاصة فرنسا موقف الإعجاب والمدح لصلاح الدين، حتى تحوّل في المؤلفات الأدبية الأوروبية إلى ما يشبه الأسطورة التي خرجت عن إطار التاريخ الواقعي والموضوعي وقد أضاعت خسارة الصليبيين في حطين هبة مملكة بيت المقدس وبخاصة بعد أن أسر ملكها جاي لوزينان ونقص عن المعركة نقص ملموس في الفرسان المحاربين، بعد أن سقط معظم فرسان الصليبيين، وغالبية جيش بيت المقدس بين (. قتل وأسرى: فمن شهد القتلى قال ما هناك أسير، ومن عاين الأسرى قال ما هناك قتيل

## الجهود التراكمية التي سبقته:

لم تأت انتصارات صلاح الدين من فراغ ولم تكن النتائج العسكرية التي حققها من دون مقدمات سياسية وتنظيمية وإدارية وإصلاحية وإحيائية امتدت على أكثر من قرن إلى أن بدا قطفها ثمارها في عهدي عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي والأخير يعتبر المؤسس الحقيقي للتحويلات الكبرى التي شهدتها بلاد الشام ثم مصر، فقد عرف نور الدين محمود بانتظاراته العسكرية وأعماله الإصلاحية الإحيائية وإنجازاته الشرعية، فقد اشتهر ببناء المدارس ومعاهد التربية والتعليم، واهتم بالقضاء وبتشييد المساجد والحصون ونشر العلم في حلب ودمشق ومختلف مدن الشام وفي عهده استعاد القضاء دوره الشرعي والتاريخي وبنى دار للعدل وشجع العلماء والفقهاء على لعب دورهم في الإعداد النفسي للقوات وتبليغ الرسالة وتعليم أصول اللغة والفقه والحديث لقادة جيوشه. وفي هذه الأجواء العلمية تلقى صلاح الدين دروسه وتربيته الدينيه فتعلم على يد المحدث أحمد بن محمد الأصبهاني، والواعظ علي ابن إبراهيم بن نجا ونجم الدين الحيوشاني، وهؤلاء جزء من الفقهاء والعلماء الذين أشرفوا على تربية الجيل الثالث من القيادات السياسية والعسكرية الذي كان له شرف إنزال الهزائم بقوات الفرنجة بعد مئة سنة من المواجهات المتقطعة، فصلاح الدين لم يصنعه نفسه، بل وبقه الله تعالى - ثم هو نتاج تاريخي وموضوعي لسياق من التقدم بدأ مع بدء الحركة الإصلاحية الدينية، التي تزعمها نظام الملك في عهد السلاجقة والتي كان من رموزها الإمام الجويني، وأبو إسحاق الشيرازي والغزالي وغيرهم، ولقد أتت تلك الجهود ثمارها والتي كان من أهمها معركة حطين (. وفتح بيت المقدس على يدي صلاح الدين

## حطين في عهد الأيوبي

يقال أن صلاح الدين الأيوبي في بعد انتصاره في حطين وقف أراضي على نبي شعيب حسب الحدود التالية وهي من شرق بحيرة الطبرية. ومن الغرب التينة المقبية. ومن الشمال المغادرة الزطبة جنوب حجر النصرانية. وإذا رجعنا هذا التاريخ نجد ان البناء البنائية الأساسية للمقام ثم بعد المعركة حطين عام الف ومائة وسبعة وثمانين ١١٨٧ وفي عهد السلطان صلاح الدين حيث شيد العقد الأساسي غرفة الضريح. كما انه وحضر من سعد إحدى أسرى الشريفة التي ينتسب على النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم (وهي أسرى الأمام) لتقوم على المقام وتخدمه وقد بقيت هذه الأسراء تخدم المقاوم حتى عام الف وتسعمائة وثمانية واربعين ١٩٤٨م. وكان المقام الأرض (. التابعة له من الأوقاف الإسلامية

